وديبلوماسيا على مورد ثابت وشبكة تسويق ، فان بوسع بول أن يتبين قابليات بنيوية ملائمة للقوى الغربية .

وفي محور آخر تقع المسألة التي يفضل الستراتيجيون أن ينبذوها ، وهي عدم القدرة على التوفيق بين البرامج القومية ــ الايديولوجية المتصارعة ضمن جهاز الدولة الحالي » الأمر الذي يستمر في توكيد دور السيطرة والسيادة على الأرض بوصفها المقياس النهائي للقوة والحق . وامكانية وقوف المحاور المتعددة التي تتحرك في الشرق الأوسط في مواقع نازعة للاستقرار ، تنتج المعضلة الستراتيجية الرئيسية في تحليل بول . ودور الفلسطينيين في المحافظة على الدافع العربي القومي ، في حين تبقى اسرائيل ، وبعناد معادية لأي تراجع جغرافي أمام هذه القومية ، هو الذي يوفر ديناميكية مثل هذا الاصطفاف النازع للاستقرار .

وهكذا فقد نظر إلى وجه الخطورة في الاعتماد على القوة الأميركية ، على أنه يستدعي استعمالا دقيقا لجهاز السيطرة الأميركية ، وخصوصا في دعم الأنظمة العميلة . وتحتل اسرائيل الموقع الأول في نظام التبعية ، لكن هذا الموقع مشروط بقدرة اسرائيل على تدعيم السيطرة الأميركية وسط مجموعة أعرض من الزبائن . وحرية اسرائيل في الحركة تصبح موضوعا مشكليا عند النقطة التي تولد فيها ضغوط ثورية داخلية ضد أنظمة العملاء العرب « المعتدلين » . وهكذا يتم الحكم على قابلية القوى السياسية التي تدعم الأنظمة الحاكمة في مجتمعات العالم الثالث بوصفها عنصراً متحركا خطيراً على السياسة الأميركية أن تأخذه في الحساب .

« إن العنصر القائم في الوضع الراهن والذي يطعم السيناريو الكالح هذا بحتمية المأساة اليونانية ، هو أن قاده الحكومات في كل العواصم الرئيسية هم أسرى القوى السياسية المحلية ، وبالتالي فلديهم حرية ضئيلة في القرار والحركة » .

وكما يمكن أن نتوقع ، يقع بول على استقطاب في طبيعة هذه القوى كما تظهر في اسرائيل وفي العالم العربي :

« ...ففي اسرائيل تركز لا مثيل له للرجال والنساء النشيطين والأذكياء والمثقفين وأصحاب النزعات الفردية ، لكنه في الوقت نفسه حسن وسيء ، فرغم أنه يغني الثقافة الاسرائيلية ، إلا أنه يقود الى التفرقة ، مع وجود الميل إلى التبعثر السياسي ممزوجا بالتمثيل النسبي ، والائتلافات سريعة الزوال التي تظهر يمكن أن تعكس شيئا يزيد قليلا عن قاسم الحد الأدنى المشترك ... كذلك فالقادة العرب لا يملكون حرية حركة اكبر ، فبغض النظر عن مدى رغبتهم في التخلص من الكابوس المكلف للنزاع العربي الاسرائيلي ، فهم لا يزالون عرضة للاثارات الشعائرية والديماغوجية من قبل اخوانهم العرب الاكثر تعصبا (بول ١٩٧٦) .

إن نقد بول لتعاطي نيكسون ــ كسنجر مع مفاوضات الشرق الأوسط ، فشل في أن يرى « تبادل التنازلات » في الخطوة خطوة ، وكذلك تقنيات كسنجر الخادعة واستعمالاته الشفافة . فأخطاء التوقيت المنسوبة لاستثمار كسنجر لموقعه الشخصي في الحصول على الاتفاقية ، كانت هي المسؤولة ، حسب هذا النقد ، عن تعليق المفاوضات عند النقطة الحرجة . ويدعو بول استنادا لمنطق « شرعي » لاطار شامل يستطيع أن يضمن استقرار